

## الحلقة الثانية

### هل هو الشرف.. أم الميراث!؟

قد يتساءل البعض عن سر العلاقة بين مفهومي "الميراث" و"الشرف" في مجتمعنا. لكن من الصعب أن تجد تعريفاً واحداً وموحداً للعلاقة بين المفهومين، لسبب بسيط هو تداخل تعريف العلاقة بينهما بالكثير من المفاهيم الأخرى المرتبطة بعادات وتقاليد اجتماعية قوية وراسخة، لدرجة أنها تفوق في قوتها أحياناً تأثير الدين ونصوصه على اختلافها. في بعض الأحيان يعني الشرف بالنسبة للعائلة أو أفرادها أن يحافظوا على ما ورثوه من آباءهم من أموال وممتلكات على إختلاف أشكالها وتعبيراتها، وهذا أمر جيد ومرغوب، وفيه على الأقل دعوة وتحفيز للعمل والمثابرة. وفيه من المعاني المعنوية ما يساهم في الحفاظ على رابط قوي ووثيق بين الأجيال المتعاقبة. أما حين يجري البحث في العلاقة بين المفهومين مرتبطاً بمفهوم الذكر والأنثى فإن كل المعاني السابقة لا تلبث أن تنقلب رأساً على عقب. ويصبح التعريف أكثر صعوبة، بل أكثر قساوة لدرجة تصل إلى أن يقتل الإنسان أخيه الإنسان.

لا نعرف الآن إذا كانت (ع) وهو اسم مستعار لسيدة قتلت في قطاع غزة عام 2011 قد تعلمت وفهمت هذا التعريف لشكل العلاقة بين مفهومي الشرف والميراث، فهي قتلت في سياق "خليط" التعريفات لهذه العلاقة، وإذا أردنا الدقة أكثر فإنه من الممكن تسمية ذلك بالتعريف المستند إلى مصالح اقتصادية أو مادية بحته بعيداً عن أي قيم إنسانية أو مجتمعية. لكن ما نعرفه الآن أن عدداً قليلاً من الأشخاص عرفوا وفهموا الدرس والتعريف لهذا المفهوم، أما الغالبية العظمى فإنهم لم يعرفوا أو يتعلموا شيئاً جديداً عن الموضوع، لأسباب عديدة أولها أنهم لم يعلموا عن قتل (ع)، وثانها أن من علموا عن مقتلها، أنما علموا أنها قتلت وهي في نهاية العقد الرابع من عمرها، ولها عدة أبناء متزوجون، بسبب "شرف" العائلة، على الأقل هذا ما تم عليه إغلاق ملف التحقيق في الجريمة لدى الشرطة في ذلك الحين. أما ملحقات ذلك فهي تعني من الناحية القانونية الإفراج عن الجاني أو القاتل بعد عدة أشهر، وإغلاق ملف القضية نهائياً.

هذا هو الجزء الأول من الموضوع، أما الجزء الثاني فهو الجزء المكمل لأركان الجريمة ومواصفاتها وهو الصمت، لا بل تجريم من يحاول إعادة فتح الموضوع، ووضع كل العقوبات والصعوبات في وجه كل من يحاول أن يتحدث عن ذلك، وربما التلويح بجمله من الصفات السيئة من شاكلة "اللعب بالنار" لكل من يحاول أن يتكلم أو يقول الحقيقة. ويتحول الإنسان "الصامت عن قول الحق" من "شيطان أخرس" إلى إنسان مرضي عنه ومرغوب ومحبوب طالما بقي صامتاً، ولا مانع إذا اضطر للحديث أن يردد نفس التهمة، طبعاً دون ترحم أو رحمة على المقتولة، والقول أنها دنست "شرف" العائلة واستحقت الموت.

ما أتيح لنا ان نعلمه، وبصعوبة شديدة، انها اضطرت للتنازل عن كل حقوقها الزوجية للحصول على الطلاق من زوجها، والذهاب للعيش مع شقيقاتها، في منزل الأسرة، وهو منزل كان يشكل بالنسبة لها ملاذاً خيراً وملجأً من غدر الأيام. لكنه تحول الى كابوس حقيقي، بل تحول الى سبب حقيقي لدى قريب لها الى تهديدها بالقتل إن لم تتنازل عن حصتها فيه، ومن ثم تنفيذ هذا التهديد على أرض الواقع، بين ليلة وضحاها.

يذكرها الجميع اليوم كرقم من ارقام النساء اللواتي قتلن على خلفية ما يسمى "الشرف" في ذلك العام. وقليلون يدركون تعقيدات مفهوم "الشرف" نفسه، إضافة الى تعقيدات علاقته بمفهوم الميراث. وبين هذا وذلك يصول القاتل ويجول ويرفع رأسه عالياً عند الحديث عن الشرف، في حين ترقد هي في صمت تحت التراب. ولا تزال الكثير الكثير من الأسئلة يتردد صداها عالياً لئذكرينا بأسئلة كثيرة، مثل: من القاتل الحقيقي؟ وما هو السبب الحقيقي للقتل؟ لماذا يصمت الجميع؟ ولماذا يستمرون في الصمت؟! والى متى!! هل هناك أي معنى "للشرف" في كل ذلك؟!